تجليات اللغة والاسلوب في القصيدة الحشدية

الباحث واثق حميد

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد الانام محمد واله الكرام

اما بعد ..... ما من شك ان القصيدة الحشدية هي وليدة حدث مهم بل بالغ بالأهمية من تاريخ العراق المعاصر، ولكن هذا الحدث استطاع ان يشق طريقه في نفوس الشعب العراقي على مختلف مشاربه، لما له من اهمية تمثل التحدي لهوية هذا الشعب، خلق لنا نصوصا وطنية استطاع به الشاعر ان يؤرخ لمرحلة مهمة من تاريخ العراق المعاصر قبل ان تنطلق اقلام المؤرخين وما نحن به في هذه الدراسة هو عمل ادبي متكون من مبحثين الاول هو لغة النص الحشدي او بمفهوم اخر المعجم اللفظي للنص الحشدي، ويتكون من مجموعة الفاظ جاءت في ثلاثة مطالب؛ الاول الفاظ الحرب وما شابهها وكيف شقت طريقها في النص الشعري الحشدي وما هي دوافع الشاعر في ايراد الفاظ الحرب، وكيف وظف الشاعر الالفاظ الحربية وطوعها خدمة لنصه ، واما المطلب الثاني فقد جاء في ذكر لفظ الحشد وكيف اصبحت هذه اللفظة ملازمة للنص الشعري الحشدي بل اصبحت هي الهوية لهذا النص، واما المطلب الثالث فقد جاء في الالفاظ الشعبية التي وردت في النصوص الحشدية وكيف استطاع الشاعر بها ان يقتحم بها النص الفصيح ويصل إلى مبتغاه من دون تكلف.

واما المبحث الثاني فكان البحث فيه بطريقة باسلوب التعبير الذي تبناه الشاعر في الوصول الى مبتغاه فكان في مطلبين؛ الاول الاسلوب القصصي وكيف خلق الشاعر بيئات وشخصيات حاورها مرة واستنطقها مرة اخرى، واما المطلب الثاني فكان الاسلوب الرمزي الذي كاد ان يكون شبه ملازم للنص الحشدي فقد نوّع الشعراء من الرمز في هذا المضمار بشكل كبير ولكن الرمز الاكثر سيطرة على النص كانت شخصية الامام الحسين لما لها من تأثير في النفس البشرية عموم، ومناسبتها لموضوع الحشد وما ترتب هيه من لوازم الثورة كالإصلاح ، والتضحية وغيرها، و انتفع الشعراء من

الرموز القرآنية مثل؛ الطوفان وعيسى بن مريم(عليه السلام) وغيره من الانبياء فكان التأثير القرآني حاضرا في النص الحشدي.

التمهيد

الاوضاع العامة للعراق ابان احتلال داعش للمحافظات الشمالية

ليس بخافٍ على احد الحالة العامة في العراق والتحديات التي واجهها الشعب العراقي منذ القدم، واليوم ليس ببعيد عن الامس فمن تحول الى تحول ومن احتلال الى احتلال ومن انقلاب الى انقلاب ومن حرب الى حرب بهذه التحولات التي تحرك عجلة التاريخ عاش وما زال يعيش الشعب العراقي في وطن مليء بالمفاجئات .

وتعد المرحلة التي يعيشها العراق المعاصر مرحلة تحدي هوية، واثبات وجود فالهجمة الظلامية المتمثلة بداعش كانت بمثابة مسح للهوية البشرية وليس الهوية العراقية فقط، مهما يطول الحديث عن وحشية الفكر الداعشي لا يمكن لعقل ان يتقبل هذه الوحشية الفكرية التي تحولت فيما بعد الى تطبيق عملي على ارض الواقع في سوريا، ليحتل هؤلاء الظلاميون عدد من محافظات العراق في مقدمتها محافظة نينوى، وصلاح الدين، والانبار، وجزء من كركوك، وجزء من ديالى، وتطبيق كل ما من شأنه ان يمسح الهوية البشرية للمجتمع العراقي، عمادهم في هذه الافكار الشريعة الاسلامية التي طبقوها ضمن توجهاتهم وهي لا تمت للإسلام بأي صلة.

ومارس الظلاميون ابشع ما يمكن ان يُمارس ضد اي ذي عينين على كوكب الارض، فبعد احتلالهم جزء من سوريا وجزء من العراق بمساعدة قوى بسطت ايديهم في المحافظات العراقية السالفة الذكر وما حدث هناك كان شيء لا يستوعبه العقل، ولا يتسع المجال لذكره اكتفي بقدر يسير من كثير اجرامهم في مقدمتها اعدام اكثر من ١٧٠٠ طالب في معسكر سبايكر في محافظة صلاح الدين والتمثيل بهم بعد ان اعطوهم الامان فمنهم من اعدم وبقي على قارعة الطريق ومنهم من اعدم بالرصاص من على منصة مطلة على نهر دجلة عندها تحول لون الماء الى احمر[١]، ثم شفعوها بجريمة كوجو التي ارتكبت ضد المدنيين الايزيديين في قضاء سنجار جنوب شرق الموصل[٢]، والتي يصعب

الحديث عنها لشدة وحشيتها، ثم تجريف اثار النمرود ارث البشرية من الحضارة العالمية، ثم المذبحة المروعة التي اقترفت في سجن بادوش [٣]، هذا باختصار شديد، واما الاحكام التي تعاملوا بها مع سكان المناطق التي كانت تحت سيطرتهم فكانت بشعة وغريبة جدا فمثلا يجلد الفرد الذي لا يقصر اذيال ثوبه، او تجلد المرأة التي تخرج من دون محرم، او يعدم من يستعمل جهاز الهاتف، واشياء لا يمكن ان تذكر في هذا المقام لبشاعتها سأكتفي بالإشارة لها فقط[٤] .

اما رد الفعل العالمي تجاه هكذا احداث فكان الكل يدعو للسلام وعدم العنف ومحاربة التكفيريين الظلاميين واخراجهم من العراق، ولكن ما كان في اجوافهم غير هذا فللأسف كانوا يتعاطون مع المشهد تعاطي المتفرج، بل ان كثيرا من الدول الكبرى ودول الجوار اصبحوا يرسلون مساعدات عينية بواسطة قذفها من الطائرات و ومساعدات عسكرية متمثلة برفدهم بانتحاريين واسلحة، وهناك من السياسيين العراقيين من ساندهم وخرج جهارا نهارا وبالفضائيات وصرح موهما العالم ان ما يحدث في الموصل هو ثورة عشائر ليتضح فيما بعد زيف ادعائه عندما نزح اكثر من اربعة ملايين انسان مات عدد غير قليل من اطفالهم في طريق الهروب من داعش ودفنوا على الطريق في مكان لا يعلمه الا الله[٥] .

والوضع العام في العراق كان شبه متجمد لما اصابهم من دهشه وارباك في كيفية التعاطي مع مثل هكذا حدث لم يعرفوه في تاريخ البشرية فبين الدهشة والجمود جاءت فتوى الجهاد الكفائي التي اطلقها سماحة السيد علي الحسيني السيستاني (حفظه الله) وعلى اثرها التحق عدد يفوق التصور بالقوات الامنية ليتأسس جيش من الشعب يؤمن بعقيدة الاسلام المحمدي ايمانا مطلقا[٦]، ولكن الامكانات العسكرية العراقية كانت غير كافية لاستيعاب عدد كهذا تسليحا وتجهيزا، فاستعانت الحكومة العراقية بالجمهورية الاسلامية الايرانية فأرسلت ما يمكن ان يجهز به هذا الحشد الكبير فكان التجهيز على كل الصعد حتى على صعيد المستشارين العسكريين[٧] وبهذا الجيش الذي كان مخطط

له ان يكون رديفا للقوات الامنية العراقية اصبح هو صاحب المبادرة في التوجه الى المناطق التي دنسها الدواعش .

سطر الحشد الشعبي اروع قصص البطولة والفداء من اجل تطهير الارض وما سأذكره على سبيل المثال لا الحصر لان ما حدث في معارك التحرير لا يمكن ان يحصر في هذه العجالة، وما سأذكره هو مشاهدات شخصية كانت ايام عمليات التحرير منها: التحاق شخص بالحشد الشعبي لم يكمل يومه الثاني من شهر العسل، التحاق رجل شيبة راهق الثمانين سنه، التحاق رجل شيبة هو واولاده واحفاده وغيرها من المشاهد التي يتشرف بها تاريخ العراق المعاصر ولو ذُكرت كلها لاحتجنا الى مجلّدات .

اللغة والاسلوب في القصيدة الحشدية :

اللغة

لا يخفى على أحد مدى أهمية اللغة لدى كل المخلوقات فبها يكون التخاطب على جميع الصُعد، وقد حظيت اللغة باهتمام الباحثين منذ عهود مبكرة، وقد عرّف ابن منظور اللغة: (لغى في القول، يلغي، وبعضهم يقول يلغو، ولغى يلغي لغةً، ولغا يلغو لغواً: تكلم في الحديث)[٨] اما من الناحية الاصطلاحية (تُعرّف اللغة باعتبارها نظاما من الرموز الصوتية)[٩].

وما نريده من هذين التعريفين في هذا المقام، لا مجموعة الأصوات أو الرموز التي بواسطتها يتفاهم أبناء الجنس الواحد سواء كان إنسان ام غيره، بل الخصائص التي اجتمعت عليها دائرة الشعراء الاصطلاحية، من حيث الألفاظ، والتراكيب، وما إلى ذلك، مما يمنح العصر الذي يعيشه الشاعر خصوصية عن بقية العصور، وهذه اللغة تتكون نتيجة لظروف وعوامل معينة في مقدمتها البيئة، التي هي عماد اللغة ثم تأتي بعدها العوامل الأخرى كثقافة الشاعر مثلا.

النص الحشدي كغيره من النصوص، يسخِّر مجموعة من الألفاظ، وهذه الألفاظ تعطيه صبغتهُ الخاصة، فبواسطتها نستطيع أن نعطي النص هويته الشعرية، إن كان سياسيا، أو

اجتماعيا أو غير ذلك، من الموضوعات التي كتب بها الشعراء، وسنقف ان شاء الله في هذا البحث على ثلاث مجموعات من الالفاظ التي هي اولا:

الفاظ الحرب

لان الموضوع الذي نحن في صدده يحمل في طياته حرب التحرير المقدسة من داعش تعددت فيه الألفاظ الحربية لدى الشاعر، فمرّة يباشر اللفظة بما هي عليه من معنى، ومرة يذكر لفظا فيه قرينة تؤدي إلى الغرض الذي يسعى له، وهذه الألفاظ وجدتها شبه ملازمة للنص الشعري الحشدي، وفي المدة التي نحن بصددها فالشاعر كان يعيش الدفاع المقدس بكل تفاصيله جاءت النصوص تمثل التجربة الشعورية، ومن هذه الالفاظ ما قالته الشاعرة اسرار العكراوي من في قصدية (هم السابقون السمر) فقالت :

أَضِفْ لُغَة أُخْرَى، لِتَجْهَرَ بِالْمَعنى فَكُلُّ حُروفِ الوَصْفِ قَدْ صَمَتَتْ وَهْنا

هم الباسقون السمر كل رصاصة برشاشهم خيط يحوك لنا الأمناء[١٠]

النص الحشدي المتأسس على لَبِنات الجهاد كان لابد له ان يحظى بمجموعة الفاظ حربية تناسب الحدث فأوردت الشاعرة في هذا البيت لفظ (الرصاص) واستفادت من النص القراني (والنخل باسقات لها طلع نضيد)[١١] ربما شبهت الرصاص بطلع النخل مجازا واردت ما سيؤول اليه الرصاص من خير ووفرة بعد الخلاص من الظلم الذي جلبه الظلاميون للعراق.

وكذلك سار الشاعر اسماعيل الصيّاح على ذات الطريق في قصيدة (وفار الشاجور) فقال :

من الغضب المسجور في فوهاتها يفوز بها طوفانها في سباتها

تحدثنا حزما بنادق فتيـــــــــة وتحفر في التاريخ من ذكرياتها

واذ فار(شاجور) اللعين واغرقت فلا عاصم إلا بموت غزاتها [١٢]

يظهر انتفاع الشاعر منذ مطلع القصيدة من النص القراني فيوظف قصة الطوفان من اجل اسناد فكرته، وفي هذا التوظيف يورد كلمة (شاجور) التي هي من لوازم الحرب

ولكنه جاء بها مناسبة لما وظفه من نص قراني، ربما عبّرت هذه اللفظة عن انفعال الشاعر تجاه قسوة الاعداء ولكن الخلاص من هذه القسوة هي مواجهتها.

والشاعر ستار الزهيري في قصيدة (رفاق المنايا) قال:

واسفر في صبيحتنا ضياء يقبل ما يقبله الزنــاد
فللفلوجة اللقيا اتينـــــا ترافقنا المودة والعتاد [١٣]

اورد الشاعر في هذين البيتين لفظي (الزناد و العتاد) ففي لفظ الزناد اعار الشاعر للزناد الذي هو جزء من اجواء البندقية صفة من صفات الانسان وهي التقبيل ولكنه لا يريد التقبل بمعناه المتداول بل يريد لحظة طرق الزناد على الرصاصة فعبّر عنها بالتقبيل واما لفظ العتاد فأوردها وكأنها هي صمام امان المودة وفي كلتا الحالتين كان الشاعر مشحونا بجو التحرير اكثر منه بجو الحرب .

وفي ذات الطريق سار الشاعر ضرغام البرقعاوي في قصيدة (ملحمة الاباء) فقال:

هُنا بالرَّصاصِ المُرِّ شَيَّعَه الإبا مَشَينا إلى العَلياءِ طَفّا مُجَرَّبا
رَكَضْنا معَ الفتوى حَجيجَ بَنادِقٍ وَحَشدا سَماويَّ المَسيرِ تَوَثَّبا
تُساقِطُ عِزّا فَوقَ مَرْيَمَ طَيِّبا لَنا نَخْلُنا تَبقى عُذوقُ شِموخِها[١٤]

يظهر الاثر القراني في هذا المقطع من القصيدة عندما يوظف الشاعر قصة السيدة مريم (عليها السلام) في نصه ولكنه يسبقها بابيات فيها؛ الفاظ الحرب، وتلبية فتوى المرجعية، والالتحاق بالحشد الشعبي، كأنه أراد ان يقول بان كل هذه المقدمات لكي يكون البلد في مأمن بواسطة هذه الحشود المتطوعة حجته في ذلك هو ما كانت تتمتع به مريم عليها السلام من مأكل ومأمن بعد ولادة السيد المسيح (عليه السلام).

واما الشاعر مؤيد نجرس في قصيدة (بريد الى السماء) قال :

يا نخلُ صبرا و إن من تمرِنا نَزفوا كلُ الكواكب تجثو .. عندما نَــقف
لن ينحني ظهري المكتظ أسلـــحة و إن تهادتْ على أكتافيَ الســرُفُ
أناملُ اليافعين السمر تُشعلنـــــي على الزناد .. و تَشدُوني أذا عَزَفوا
ويَستعيرُ الرصاص المرُ أغنيتـــي لى السواتر حين الـــــحرب تقُترف[١٥]

تزدحم هذه المقطوعة بألفاظ الحرب حتى تلك الغير مألوفة كلفظ السرف مثلا التي هي من اجزاء الدبابة، ان هذه التزاحم وتعدد انواع السلاح عكس لنا الشاعر حالة الحرب التي يعيشها الشاعر اثناء كتابة القصيدة فالجو العام للعراق كان شبه عسكري ابان معارك التحرير التي خاضها الحشد الشعبي من اجل طرد الظلاميين التكفيريين من العراق هذا الجو المشحون بالحرب ظهر لنا بنص مزدحم بالألفاظ الحربية.

لفظ الحشد

سيطر هذا اللفظ على النص الحشدي لدرجة انك لا تكاد ترى نصا خالٍ منها، وذلك متات من عمق التأثير الذي نحته الحشد الشعبي في ذات الفرد عموما والشاعر خصوصا منذ تأسيسه بانطلاق الفتوى المبارك، فتوى الجهاد الكفائي التي اطلقها سماحة السيد السيستاني (حفظه الله) لتحرير العراق من دنس التكفيريين الذين احتلوا محافظات عراقية (الموصل، جزء من كركوك، صلاح الدين، الانبار، اجزاء من ديالى) وهذا اللفظ اطلق على الحشود الكبيرة التي لبّت نداء المرجعية في التطوع والانضمام لصفوف القوات المسلحة .

ومن الشعراء الذين ذكروا لفظ الحشد الشاعر حسن سامي في قصيدة (الموغلون كثيرا في توغلهم)

المَوْصِلُ الآنَ بينَ الحَشْدِ والنّصْر فَتْحٌ تَجَلّى بطعنِ السُّمْرِ بالسُّمْرِ[١٦]

يظهر حب الوطن في ذات الشاعر عندما يقدم لفظ الموصل المحافظة التي بداء الظلاميون باحتلالها وعاثوا بها فسادا، ثم ينعطف على لفظ الحشد مقرنا به النصر والفتح وكانه اراد ان يقول بان الحشد هو لفظ ملازم لالفاظ النصر.

واما الشاعر حسن هاني في (قصيدة حشد السماء) فقال :

حشدٌ يحزُّ الكفرَ باللّمـــــــــــسات بعقيدةٍ ملْأى بكلّ ثـــــــباتِ
طوبى لحشد صار كل خصومـــــه اعجازَ نخل مقفر الـــثمرات
هو حشدهم هو حشدنا بل حشدكم لبّى نداء الله بالـــــــحركاتِ[١٧]

يكرر الشاعر لفظ الحشد اربع مرات، في اثنين منها نلحظ التأثير القرآني في الشاعر عندما جاء بالالفاظ المقترنة بلفظ الحشد، وفي هذا النص اقتباس قراني غير مباشر وهو (اعجاز نخل مقفر الثمرات) انتفع الشاعر من النص القرآني : (كأنهم اعجاز مخل خاوية)[١٨] وفي هذا النص كلام كثير فالشاعر اشار لنهاية الظلاميين مرة ولعقيدتهم التي هي سليلة عقيدة الكفار الذين لم يسمعوا لنداء الانبياء، وهناك اقتباس قراني اخر وهو كذلك غير مباشر (طوبى لحشد) يعادله في القران الكريم (طوبى لهم وحسن مآب) [١٩] هنا قرن الشاعر لفظ الحشد بالآية مباشرة وقد اعتاض عن الضمير هم في الآية بلفظ الحشد في القصيدة بإشارة الى ان الامور بخواتيمها وان خاتمة هذا الحشد هو الجزاء الذي ينتظرهم في الجنة .

واما الشاعر سيروان محمود في قصيدة (سور لحضارة الارض) فقد سار على ذات الطريق

يَا أَيُّهَا الْجَيْشُ فَسِّرْ آيَ وحْدَتِنَا وَاتْلُ الْعِرَاقَ لسَمْعٍ مِنْ مُحِبِّيْنَا
وآيَةَ الْحَشْدِ جَاءَتْنَا كَخَاتِمَةٍ لِسُوْرَةِ الْجَيْشِ كَيْ نَتْلُوا قَرَائِيْنَا[٢٠]

يعمد الشاعر الى اضافة لفظ الحشد للفظ الآية وكانه ارد ان يظهر لنا انتمائه العقدي وان ما بيديه هو شيء من عقيدة سار عليها، ثم يتحدث عن الجيش بعنوان اكبر من حديثة عن الحشد فهو يرى بان الجيش مثابة السورة وان الحشد هو اية في ختام تلك السورة .

واما الشاعر ضياء الخاقاني في قصيدة (ملحمة الضوء) فقد قال

الضوءُ أفتى أنْ هَلُمُّوا لاصطحابي فَتسابَقَ النهرانِ في كَنَفِ الجوابِ
وقفتْ أمامَ وِقوعِهِمْ راياتُنـــــــــا حشدا من الصلواتِ مرتفعَ القبابِ
حشدا من الأخلاق يقتحِمُ الردى ويحزُّ باسمِ اللهِ طغيـــــانَ الرقابِ[٢١]

يوظف الشاعر دجلة والفرات في بيان تلاحم الشعب العراقي في درئ الخطر الذي لحق بالوطن ثم يتكلم عن القباب اشارة الى انتماء الحشد العقدي مستمدا اخلاقه من عظيم

اخلاق اصحاب القباب التي ينتمي لها ذلك الحشد الذي عبره عنه الشاعر (حشد من الاخلاق)

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

الالفاظ الشعبية

حظىَ محيط الشاعر بالحصة الاوفى بالتأثير في الشاعر والنص على حد سواء، فعموما ينطلق الأنسان في الحديث عما في جوفه من ذات البيئة، فهو محكوم بدائرة من الكلمات والمصطلحات، تمنحه قدرة التواصل مع محيطه، وما دام الشاعر ابن بيئته فلا بدَّ ان يكون اثر البيئة طاف على نصوصه سواء كان هذا الطفو بالأفكار أو بالألفاظ، او جاعلا من الموروث الشعبي مادة لعمله (لوقتٍ قادت الشاعر العراقي قناعة بضرورة الإفادة من اللغة اليومية)[٢٢] فمرة تحدث عن تراث شعبي مستعملا لغة سليمة صافية من كل لفظ أجنبي أو عامي ومرة أخرى تحدث مستعملا ألفاظا شعبية يتداولها العامة، وأرى بأن خروج كلمة عامية في نص فصيح هو ناتج عن احساس عالٍ عند الشاعر وكأنه قد كسر قيد اللغة وأطلق العنان لانطباعه، فاخذ يسرح به في فضاءاتٍ من الإحساس لا يظهر الا بالتجاوز من لغة الى أخرى ، فخرجت الكلمات معبرة عمّا في ذاته من دون قوانين تقيد الإحساس فجاءت غير متكلفة ومشربة بصدق عاطفته، ومن الذين رصّعوا نصهم الفصيح بكلمات من اللغة العامية الشاعر اسماعيل الصياح في قصيدة (وفاء الشاجور) فقال :

مِنَ الغَضَبِ المسجُورِ في فُوّهاتِها يَفورُ بِها طُوفانُها في سُباتِـــــــــــــها
فمنذ حارس الغابات صار طريدة الى الان و (الملحان) اسمى قساتها[٢٣]

من مطلع القصيدة ينتفع الشاعر من الاثر القراني عندما يتحدث عن الطوفان، يظهر الاثر الشعبي في نص الشاعر من عنوان القصيدة وهي (الشاجور) ثم يورد الشاعر من غير تكلف لفظ (الملحان) باشارة الى ابن الجنوب الذي يكنى بهذا الاسم لشجاعته وسرعته في التضحية من اجل الوطن .

واما الشاعر عمر صباح في قصيدة (عودة الذبيح) فقال :

مِنَ الطُّوفانِ ، مِنْ مَوْتٍ عَميقٍ نظرنا ، لم يكنْ في المَوجِ نُوحُ
وأمٌّ ، تَنْفَخُ (الشَّيْلَاتِ) صُوْرًا فَتُبْعَثُ مِن جنوبِ الأرضِ روحُ[٢٤]

في هذا النص يورد الشاعر لفظ الشيلات وهي حجاب الامهات والتي اصبحت رمزا للشرف والعفة، يقرن الشاعر هذا اللفظ بالاية القرانية (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذٍ زرقا) وكانه يقول بان هذا الحجاب اذا تزحزح عن مكانه فان الامر يشبه بالصور الذي ينفخ في اخر الزمان فسيخرج حتى الاموات لتحرير الارض .

واما الشاعر غانم العيساوي في قصيدة (انا ابن هذا الضوء) فقال:

ردي عليه الموت والتحفي به قربي وكوني بعض اشلائي
لو زغرد(الشاجور) كنت نشيدَه لو يرقص (الشاجور) كان غنائي [٢٥]

وظف الشارع لفظ الشارجور وهو الجزء المسؤول عن خزن اطلاقات السلاح في معركته ضد داعش الظلامي رغم ان الشاجور شي مقترن بالحرب الا ان الشاعر اعطانه صورة جميلة عن ذلك الجزء فمرة جعله نشيد ومرة جعله غناء ربما هذا متأتٍ بأن الشاعر حسم الامر سلفا بان النصر قادم وان ما للشاجور من عمل في الحرب سيتحول الى عرس بالنصر .

واما الشاعر محمد باقر جابر في قصيدة (صيادا النبوءات) فقال :

عَهِدْتُكَ لا تُغْضِي ، وَقَلْبِي يُرَفْرِفُ أيَشْدو على غُصْنٍ ، وغُصْنُكَ أَهْيَفُ؟
جِراحُكَ مُنْذُ النَّخْلِ تجري أبيّـــــةً فُراتٌ (دِلُّولَ) الحزيـــــــنات يَعْزِفُ[٢٦]

اللافت في كلمة (دللول) الشعبية انها كلمة عراقية تستخدمه الامهات في تنويم اطفالهن فيغنينها بصوت شجي مؤنس يستقر له الطفل وحتى الكبير، ولكن الشاعر محمد باقر هو شاعر لبناني وظف لفظا شعبيا عراقيا في نصه تناسبا والموضوع الذي كتب فيه ويبدو ان هذا الموضوع اخذ بعنان الشاعر باللاوعي الى ايراد لفظ لا ينتمي له ولكنه وفق في ايراده سلسا غير متكلف.

الاسلوب

الأسلوب: هو طريق الانسان في السير بمفهومه العام اما ما نحن بصدده من اسلوب والمعني به اسلوب التعبير في النص الشعري، (ويقال للسطر من النخيل: إسلوب وكل طريق ممتد. قال: والإسلوب الطريق والوجه، والمذهب يقال انتم في اسلوبكم سواء، ويُجمع اساليب. والإسلوب الطريق تاخذ فيه)[٢٧] سنتناول في هذا البحث الاسلوب بشكل اوسع اي لا نقف على الجزئيات التي يتكون منها الاسلوب كالاسلوب الخبري والانشائي وما تفرع عنهما كما هو معهود في الدراسات الفنية وسنقف عند اسلوبين هما الاسلوب الرمزي والاسلوب القصصي وكيف بني عليه الكاتب بنيانه وكيف اظهر انفعاله وبدت به شخصيته، وجورج بوفون عندما عرّف (الإسلوب هو الرجل ذاته)[٢٨] والمعني ّبه الذات، هل الذات مجموعة كلمات أو جمل خبرية وأخرى إنشائية فقط هو تساؤل وليس سؤال ؟

بعد هذه المقدمة البسيطة رأيت ان أتناول في هذا البحث الشكل العام من الأسلوب، وأتعامل مع الانفعالات النفسية للشاعر عموما ولنصه خصوصا، وما وقع على النص من الحالة التي كان يعيشها الشاعر أثناء كتابة القصيدة، فبعد الاطلاع على عدد كبير من القصائد الحشدية ، ظهر لي إسلوب حماسي، وآخر قصصي ، وآخر متحفظ، وآخر جرئ، وآخر حزين، ، وفي الموضوع الذي نحن بصدده تعددت الاساليب ولكن الابرز كان الإسلوب القصصي والإسلوب الرمزي وسيكون عماد دراسة الإسلوب في هذا البحث مرتكزا على الاسلوبين السابقات الذكر.

الاسلوب القصصي

انتفع الشاعر في النص الحشدي من الاسلوب القصصي ، وهذا أمر بديهي لان الإسلوب القصصي لا يختص بعمل من دون اخر[٢٩]،والإسلوب القصصي وجد طريقه في النص الحشدي فاخذ به الشاعر وتحدث عن كل ما يمكن ان يقال من أحداث، أو تكهّنات خلقها من بُنات افكاره او اعتمد على مصدر خارجي في التأليف .

بهذا الاسلوب عبر الشاعر اجود مجبل عن نصه الحشدي في قصيدة (القادمون من الانسان) فقال:

العابرونَ إلى المعنى بنادقُـــــهم مثلَ الشموعِ بلَيلٍ خائنٍ ســـــــهِرَت
والقائلونَ لشيءٍ ما : كفى صخَبا نحنُ الأغاني التي للآنَ ما انكسرَت
لهم أبٌ خلفَ بابِ الليلِ منـــــتظر وتلك ام بلا وعد كم انتـــــــظرت[٣٠]

واما الشاعر زمن الجرّاح فقد وظف الاسلوب القصصي في نصه (فتية امنوا بربهم) فقال :

دَمْعٌ بأجفانِهنَّ يَبكيـــــــــــــــني ولَمْ أَمُتْ بَعد في المَيـــادينِ
أُمي بلَوكِ النيرانِ مُهجـــــــــتَها تَلوكُني لَو بَكَتْ بَراكـــــــــيني
تُسأئِلُ الراحلينَ عَنْ دَمِها الـــــ يَجري عَلى السوحِ مِن شَراييني
هَلْ ماتَ في الحَربِ أمْ تُراه نَجا مِن بَطشها فارسا أجيبونـــــــي؟[٣١]

يعرض لنا الشاعر في هذا النص مشهدا متكوناً من مجموعة شخصيات فيكون هو امه ومجموعة من اناس لم يصرح بهم، وهو يحوم حول امه التائهة التي تبحث عن ابنها فيخلق لها جوا من الحوارات وهي تسأل الناس المحيطين بها، ولكن لا يجيب عن هذه التساؤلات، بهذا الاسلوب القصصي المتكون من شخصيات بنى الشاعر نصه الحشدي ووصل الى ما يصبو اليه من هدف .

والشاعر علي مرتضى في قصيدة (حشد من النور) قال:

الأنبياءُ تهيّأوا وتحـــــــــــضّروا لقتالِ زَحفٍ للدُّجى وليـــثأروا
والأوصياءُ بحذوِهم وسيوفُـــــــهم عَطشى لِنَحرِ غياهبٍ تتـــكرّرُ
وملائكٌ توحي لهم أنْ آمنوا بالنّصر والأرضَ الأسيرةَ حـــــــــرّروا
لعويلِ أيتامِ العراقِ وحزنِـــــــــــهم هيّا انهضواهبّوا ولا تتـــأخروا
جاءَ الجوابُ من النبـــيّ (مُحمد) إنّا سنمضي للقيودِ نكـــــسِّر
لبيك جاء جوابهم بشـــجاعة اساد حق بالمـــــــــعارك تزأر[٣٢]

في هذا النص حشد كبير من الشخصيات والخطابات ولكني اختصرت شخصيات معينه رايتها مناسبة للتحليل فالشخصيات كانت في هذه النص متكونه من سبع شخصيات بعضها استطاع الشاعر استنطاقها وبعضها لا تركها دون ان يأخذ منها اي خطاب واما المكان فكانت الاماكن متعددة في هذا النص، فهو نص تزاحم فيه المكان مع الشخصيات وهذا هو انعكاس للكثافة العددية التي كان الحشد يتمتع بها جعل الشاعر يميل الى اسلوب قصصي حواري يتعدد فيه المكان والشخصيات على حد سواء .

الاسلوب الرمزي

الرمز هو مجموعة اشارات وهذه الاشارات دلالات غير لفظية، وقد وردت هذه اللفظة أي الرمز في القران الكريم بمعنى الإشارة (قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ)[٣٣](ويكون الرمز: الايماء بالحاجب بلا كلام، ومثله الهمس. يقال للرجل الوقيد: ارتمز. وقد يقال للجارة الغمّازة الهمّازة بعينها، واللمّازة بفمها: رمّازة، ترمز بفمها، وغمز بعينها. ويقال الرمز تحريك الشفتين)[٣٤].

والرمز الشعري هو نوع من انواع التعبير يتوارى خلفها الشاعر ليمرر رسائله بشكل غير مباشر، يعتمد بهذا التعبير على ذكر لفظ فيه معنى أو معاني كثيرة تناسب وما يصبو إليه ، مثلا نرى شاعرا يتكلم عن شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) وهو رمز الثورة، فيعلق أفكاره على هذا الرمز الثوري العالمي، فالشاعر يريد الثورة ولكنه لا يصرح بها بل يكتفي بالحديث عن رمزها ويفسح المجال للمتلقي بالتأمل والتفسير، وهكذا عندما يتكلم عن الأم ويريد الوطن أو يتكلم عن النخلة ويريد كل ما يقترن بها من صفات العطاء والثبات والقدسية .

أما دواعي الشاعر للرمز فهي كثيرة، اما ان يكون الشاعر اراد تعزيز فكرة تبناها او انه أراد أن يحرك ذهن المتلقي ويجعله يسرح في مساحات بعيدة أكثر من التي كان الشاعر يصبو إليها، أو انه أراد أن ينتقد واقعًا معينًا فاسند ظهره على الرمز للخلاص من الملاحقات وما شابهها.

ومن الشعراء الذين جاء في نصهم الحشدي اسلوب رمزي، الشاعر احسان الموسوي في قصيدة (عراق التضحيات) فقال :

رغمَ الجراحِ ورغمَ أنفِ المعتدي نَظرتْ بلاد الرافدين الى غدِ
فَتنَسمتْ عبقَ الكرامةِ والفِدا من ارض كوفان وطف السؤدد [٣٥]

يورد الشاعر في البيت الثاني شخصيتين دون التصريح بهما ولكنه ذكر لازمة من لوازمهما فالمقصود بارض كوفان هو الامام عليه السلام لأنه عاش في الكوفة مدة من حياته مارس دوره السياسي والعسكري، واما الشخصية الثانية فهي شخصية الامام الحسين عليه السلام عندما ذكر الطف وهي لفظة ملازمة لثورة الامام الحسين بهاتين الشخصيتين الرمزيتين للبطولة والفداء والشجاعة والاصلاح وغيرها مما يصعب حصره في هذا المقام اختزل الشاعر مراده فاكتفى بذكرهما بشكل غير مباشر وعلق عليهما كل ما من شانه ان يسند نصه الحشدي من افكار تبناها الحشد في معاركه المقدسة .

والشاعر باسم الحسناوي وظف الرمز في قصيدة (ملائكة الله استعدي) فقال:

بما خلقَ الإنسانَ ربٌّ يغازلُه فسامية أخلاقُه وشـــــــمائلُه
وقل كلُّ شهمٍ فيهما هوَ عابسٌ سوى نفسِه لا عابسٌ سيماثلُه
دواعشُ ما كانوا حديثينَ إنَّما لقابيلَ منهم شعبُه وقبائلُه[٣٦]

يورد الشاعر شخصية تعد رمز من رموز الطف وهو عابس الذي عرف باقدامه وعدم اكتراثه لكثرة العدو يوم الطف لدرجه انه نزل للميدان حاسرا ولم يكن مع سوى السيف، على هذه الشخصية علق الشاعر اقدام الحشد وعدم اكتراثه بعدة وعديد العدو.

والشاعر ضرغام البرقعاوي استعمل الرمز في قصيدة (ملحمة الاباء) فقال :

هُنا بالرَّصاصِ المُرّ شَيَّعَه الإبا مَشَينا إلى العَلياءِ طَفّا مُجرَّبا
لَنا نَخْلُنا تَبقى عُذوقُ شِموخِها تُساقِطُ عِزّا فَوقَ مَرْيَمَ طَيِّبا[٣٧]

عادة ما ينتفع الشاعر العراقي بالنخل سواء كان مصرحا ام ملمحا ففي هذه القطعة يوجد ثلاثة رموز وهي الطف وما يقترن بها من فداء وبطولة ونص و النخلة والتي هي

عنوان للشموخ والعطاء وشخصية مريم عليه السلام التي هي عنوان للنقاء والطهر، اراد الشاعر بهذه الرموز ان يضع الحشد الشعبي في مقام هذه الشخصيات من حيث الثبات والفداء والنقاء .

واما الشاعر حيدر خشان ياسين فقد ذكر الرمز في قصيدته (سرد القوافي) فقال :

أنا الطفُ الوفيُ وفا حسينٍ وأنت بساترِ الجَبهاتِ أُحْدُ[٣٨]

في هذا البيت رمز من رموز التضحية والفداء وهو الامام الحسين عليه السلام الذي ما فتئ ملازما لكل الثورات والاحرار في العالم، ولان الحشد ثورة انسانية انتفع الشاعر في التعبير عنها بذكر اهم رمز من رموز الثورة .

بعد هذا التحليل اتضح لنا حجم التاثير القراني في الحشد فلا تكاد ترى نصا لا تتعدد فيه الاستعمالات القرانية سواء كانت بشكل مباشر او غير مباشر فكثرت فيه الاقتباسات وحتى من الناحية الرمزية فقد وظف الكثر من الشعراء الرموز الانسانية في نصوصهم وكذلك استندوا الى القران الكريم في الرموز التي جاءت به .

الخاتمة

بعد هذا البحث الصغير اتضحت لي بعض النتائج سأذكرها داعيا الله عز وجل ان تكون ذات فائدة للقارئ

١. امتاز النص الحشدي في استعمال الاقتباسات القرآنية بشكل كبير لدرجة انك لا تكاد تقف على قصيدة الا وجدت بها اقتباسا سواء كان مباشرا ام غير مباشر

٢. ولان القاعدة الاساس للحشد الشعبي كان من عامة الناس فقد انعكس هذا على الشاعر عندما استعمل الالفاظ الشعبية داخل النص الحشدي .

٣. انعكس موضوع فتوى الجهاد الكفائي في النص الحشدي بشكل كبير .

٤. كثر استعمال لفظ (الحشد) داخل النصوص الحشدية .

٥. اكثر الشعراء من استعمال الرموز سواء بشكل مباشر او غير مباشر ولكن الرمز الاكثر استعمالا ليهم (الطف) وما ترتب عليه من الفاظ .

٦. وكذلك كان للاسلوب القصصي حصه في النص الحشدي فقد وظف الشاعر عدد من الشخصيات داخل النص وحاورها مرة واستنطقها مرة اخرى.

٧. ابتعد الشعراء عن الاسلوب الساخر ربما ذلك متاتٍ من جدية الموضوع .

الهوامش :

(١) ينظر : اماطة اللثام عن المجازر المقابر الجماعية في المناطق التي سيطر عليها تنظيم داعش سابقا ص ٧ .

(٢) ينظر كتاب جرائم داعش ضد الايزيديين ودور الدواعش الاجانب.

(٣) موقع . https://www.hrw.org/ar/node/٢٦٤١٥٠/printable/print) قصة منشورة على الكوكل

(٤)الحرة / العضاضة. https://www.alhurra.com/choice-alhurra/ ٠٢/٠٣/٢٠١٦ /

(٥) مقابلة خميس الخنجر على قناة العربية الحدث

https://www.youtube.com/watch?v=٤٧kuL٠VnOC. ٨

(٦) مجلة الاحرار ٢١-٥-٢٠١٥ ص ٥. **وينظر** : الحشد الشعبي بين التوازنات الإقليم والمتغيرات المحلية .

(٧) https://www.iraqhurr.org/a/٢٧٠٢٥٣٩٤.html اذاعة العراق الحر دور ايران في قتال داعش .

(٨) لسان العرب ابن منظور: ج ١٥ مادة (لغى) ص ٢٥١.

(٩) علم اللغة العربية د محمد فهمي حجازي ص ١٨.

(١٠) الى فتية القمح ص ١٤.

(١١) سورة ق اية ١٠.

(١٢) الى فتية القمح ص ١٦.

(١٣) المصدر نفسه ص ٨٠.

(١٤) الى فتية القمح ص ١٠٠- ١٠٢.

(١٥) الى فتية القمح ص ٢٢٦-٢٢٧.

(١٦) الى فتية القمح ص ٤٦.

(١٧) المصدر نفسه٤٨.

(١٨) الحاقة ٧ .

(١٩) الرعد ٢٩.

(٢٠) الى فتية القمح ٨٥

(٢١) المصدر نفسه ص ١٠٨.

(٢٢) دير الملاك ، محسن اطيمش، ص ١٧٥.

(٢٣) الى فتية القمح ص ١٦ .

(٢٤) المصدر نفسه ١٣٩ .

(٢٥) المدر نفسه ص ١٤٢.

(٢٦) المصدر نفسه ص ١٩٥.

(٢٧) لسان العرب، مادة سلب ج ١ ص ٤٧٣.

(٢٨) النص البلاغي في التراث العربي و الأوربي، ترجمة احمد درويش، ص ١٨٨.

(٢٩) التربية الإسلامية أصولها وتطورها ، محمد منير مرسي، ص ٢٨٥.

(٣٠) الى فتية القمح ص ٥.

(٣١) الى فتية القمح ص ٦٨.

(٣٢) الى فتية القمح ص ١١٣.

(٣٣) ال عمران أية ٤١.

(٣٤) كتاب العين، الجزء السابع، ص ٣٦٦.

(٣٥) الى فتية القمح ص ٧.

(٣٦) المصدر نفسه ص ٢٦.

(٣٧) الى فتية القمح ص ١٠٠.

(٣٨) المصدر نفسه ص ٦٠.

المصـــــــــــادر

القران الكريم

١. "إماطة اللثام عن المجازر :المقابر الجماعية في المناطق التي سيطر عليها تنظيم داعش سابقا " مكتب مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان/ بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق ٦تشرين الثاني.

٢. الحشد الشعبي العراق بين التوازنات الاقليمة والمتغيرات المحلية، عبد الله جبور، اذار ٢٠٢١.

٣. اذاعة العراق الحر ، دور ايران في قتال داعش ومخاوف امريكية من صراع طائفي / https://www.iraqhurr.org/a/٢٧٠٢٥٣٩٤.html اطلعت عليه ٦- اذار ٢٠٢٢.

٤. مجلة الاحرار ٢١-٢-٢٠١٥ .

٥. موقع قناة ار تي الاخبارية الروسية عقوبة □ التدخين - الدواعش https://arabic.rt.com/news٧٧٤٨١١ اطلعت عليه بتاريخ ٦-٣-٢٠٢٢م .

٦.سجن بادوش قصة منشورة على الكوكل اطلعت عليها بتايخ ٣-٣-٢٠٢٢ (https://www.hrw.org/ar/node/٢٦٤١٥٠/printable/print)
٧.جرائم داعش ضد الايزيديين ودور الدواعش الاجانب
٨.موقع الحرة ، العضاضة https://www.alhurra.com/choice-alhurra/٢٠١٦/٠٣/٠٢/ اطلعت عليه بتاريخ ٥-٣-٢٠٢٢
٩.علم اللغة العربية، د محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر .
١٠.دير الملاك دراسة نقدية للظواهر الفنية للشعر العراقي المعاصر، د. محسن اطيمش، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية/١٩٨٢ م .
١١.لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين بن منظور، ج ١ / دار صادرات بيروت الطبعة الثالثة.
١٢.النص البلاغي في التراث العربي و الأوربي، ترجمة احمد درويش، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة / ١٩٩٨ م .
١٣.التربية الاسلامية اصولها وتطورها في البلاد العربية ، محمد منير مرسي، الناشر عالم الكتب/ ٢٠٠٥م
١٤.كتاب العين، ،ابو عبدالله الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي البصري، تحقيق مهدي المخزومي ، د ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج ٧ .
١٥.الى فتية القمح تراتيل في حضرة الحشد المقدس / من اصدارات منتدى ادباء وكتاب المدينة/ الطبعة الاولى ٢٠١٧.
١٦.https://www.youtube.com/watch?v=٨VnOC٠kuL٤Y مقابلة خميس الخنجر على قناة العربية الحدث اطلعت عليه بتاريخ ٥-٣-٢٠٢٢